القرامطة

من الظهور إلى السقوط

بقلم : إياد العطية



القرامطة من الظهور إلى السقوط

بقلم : إياد العطية

إذا تتبعنا تاريخ الأمة الإسلامية نجد أن الأمة عندما تمر بحالة من الضعف، والانحدار، والتشرذم، والخلاف، والاختلاف، تظهر على ساحتها فرق وحركات فكرية منحرفة مصحوبة بقوة عسكرية وكتل بشرية مهولة، وتنقض هذه الفرق على الأمة بكل قوتها، وتحاربها في كل مفاصلها، الفكرية منها، والعقدية، والعسكرية، في محاولة منها لإنهاء وجود الأمة على الأرض، ومن ضمن هذه الحركات والفرق الفكرية والعقدية المنحرفة التي حاربت الأمة وما زالت تحاربها الى يومنا هذا، هي: **فرقة القرامطة.**

ففي سنة ٢٧٨ هجرية دُعي لهذه الفرقة المنحرفة الملحدة علنا في الكوفة، ولعظم فتنتهم على الأمة، واستمرارها الى يومنا هذا، نتكلم اليوم بشيء من التفصيل حول نشأتهم، ومعتقداتهم، وصولا الى سقوط دولتهم، ونهاية فتنتهم قبحهم الله.

والقرامطة هي فرقة ملحدة، منحرفة، هدامة، واصحابها منافقون زنادقة، خوارج مارقون عن الدين، أصولها مجوسية معادية للإسلام، هدفها هدم الدين، ورد الناس عن عقيدة التوحيد، وإعادتهم إلى حكم المجوس وعقائدهم بعد أن دثرها الإسلام .

كما أنها فرقة باطنية، تُظهر الإسلام وتُبطن الكفر، ظاهرها الولاء لأهل البيت، وباطنها الكفر والإلحاد، ومحاربة الإسلام وأهله، واستطاعت هذه الفرقة على مر التاريخ أن تُجدد نفسها بعد كل سقوط لها، وتخرج علينا في كل مرة بوجه مختلف، واسم جديد، فقرامطة الأمس الذين نتكلم عنهم، لهم اليوم دعوة جديدة ووجه مختلف، واسم جديد، ولكنهم يشتركون مع قرامطة الأمس في الأهداف والاستراتيجيات، بل والعقائد والأفكار، وهكذا كان حالهم في أكثر من مرحلة من مراحل التاريخ، يقول ابن خلدون في تاريخه متكلما عن فتنة الباطنية في عهد

السلطان بركيارق بن الملك شاه السلجوقي عندما أبادهم في أصفهان سنة ٤٩٤ هجرية بعد مرور ٢٤ سنة على سقوط دولة القرامطة في مدينة الإحساء آخر معاقلهم سنة ٤٧٠ هجرية، يقول: "كان هؤلاء الباطنية قد ظهروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القرامطة والدعوة بعينها دعوتهم الا أنهم سموا في هذه الأجيال بالباطنية، والإسماعيلية، والملاحدة، والفداوية، وكل اسم من هذه الأسماء له اعتبار، فالباطنية لأنهم يبطنون دعوتهم، والإسماعيلية لانتساب دعوتهم في أصلها لإسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، وأما الملاحدة لان بدعتهم كلها الحاد، والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال، والقرامطة نسبة إلى قرمط منشئ دعوتهم [١]!"، إذن فهي دعوة واحدة، وأصلها واحد، مستمرة لم تنقطع، تتغير فيها الوجوه والأسماء، وتبقى الأفكار والمعتقدات، كالأفعى التي تغير جلدها بين حين وآخر!.

وهي دعوة مجوسية، فقد كان المجوس ودولة فارس قديما وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يسيطرون على مساحات كبيرة من الكرة الأرضية، ويتقاسمون مع الإمبراطورية الرومانية نفوذ الأرض، وعندما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم برسالته، وقويت دولة الإسلام في عهد الخلفاء، وسُحقت دولة المجوس، وانتشرت عقيدة الإسلام في أصقاع الأرض، واندثرت العقائد الفاسدة، وقُمع الإلحاد، أجمع جماعة من الوثنية، والمجوس والملحدين، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين، فاجمعوا آراءهم وقالوا: قد ثبت عندنا أن جميع الأنبياء كذبوا وتخرقوا على أممهم، وأعظم كل بلية علينا هو محمد العربي "صلى الله عليه وسلم" فإنه تبع من العرب الطغام فخدعهم بناموسه، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه وأخذوا ممالكنا، وقد طالت مدتهم، وأما الآن فقد تشاغل أتباعه، فمنهم من هو مقبل على كسب الأموال، ومنهم على تشييد البنيان، ومنهم على الملاهي، وعلماؤهم يتلاعبون بهم، ويكفر بعضهم بعضا، وقد ضعفت بصائرهم، فنحن نطمع في إبطال دينهم، إلا أننا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم، فليس

[١] تاريخ بن خلدون لابن خلدون . ٥ \ ص ٣١.

الطريق إلا لإنشاء دعوة في الدين، والانتماء إلى فرقة منهم، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا من الرافضة فندخل عليهم منها، ونذكر ظلم سلفهم الأشراف من آل نبيهم، ودفعهم عن حقهم، وقتلهم، وما جرى عليهم من الذل لنستعين بها، فتناصروا، وتكاتفوا، وتوافقوا، وانتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق [٢] .

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس، وشيء من دين الصابئية، فأخذوا عن هؤلاء الأصليين النور والظلمة، وعن هؤلاء العقل والنفس، ورتبوا لهم دينًا آخر ليس هو هذا ولا هذا، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظن الجهال به أنهم رافضة، وإنَّما هم زنادقة منافقون، اختاروا ذلك لأنَّ الجهل والهوى في الرافضة أكثر منه في سائر أهل الأهواء[٣] .

بداية ظهورهم في الكوفة سنة ٢٧٨ هجرية .

كانت بدايتهم قديمة في بلاد فارس وما حولها، ولكن لم يتمكنوا من نشر عقائدهم بين الناس بسبب قوة الدولة الإسلامية وسطوتها في تلك المناطق، وعندما بدأت الدولة العباسية بالضعف والإنحدار، وبدأت تظهر بعض الانشقاقات واستقلال الدول والمناطق عن دولة الخلافة وبقي ارتباطها بها شكليا، خرجت هذه الفرقة وبدأت بالدعوة إلى معتقداتها بشكل علني في سنة ٢٧٨ هجرية في عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله، مستهدفين الجهلة، وأصحاب الأهواء، واللصوص، وقطاع الطرق، وشذاذ الأفاق .

وكانت بداية خروجهم على يد رجل يدعى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، قدم من خوزستان إلى الكوفة، وبدأ بنشر سمومه بين الناس، وكان يظهر الزهد، والتقشف، ويسف

---

[٢] المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي . ١٢ \ ص ٢٨٨.
[٣] التسعينية لابن تيمية . ١ ص ٢٦١.

الخوص، ويأكل من كسب يده، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه رجل ذاكره في أمر الدين، وزهده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسين صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير [٤] .

وتعاظم شأن هذا اللعين، وانتشر خبره في الافاق، واجتمع إليه كل الزنادقة والمنحرفين وأعداء الدين، وقد استغلوا ضعف الدولة العباسية، وانشغالها في قتال الزنج، وقتال دولة الصفار، التي خرجت على الخلافة العباسية آنذاك، وتعاهدوا على ضرب الإسلام من داخله، بعد أن عجزوا على مواجهته في الحروب والقتال .

معتقداتهم .

لقد استحدث القرامطة دينا خاصا بهم يتماشى مع رغبات المنحرفين وأهل الباطل، في استحلال الحرام، وإنكار الشريعة، وما جاءت به من أحكام للحفاظ على المجتمعات المسلمة، فجمعوا من المجوسية، والفلاسفة، ومعتقدات الوثنية وأسسوا لهم هذا الدين المنحرف، واستهدفوا الجُهال دون العلماء، ويدعون عوام المسلمين واليهود والنصارى، ويجتهدون في زلزلة العقائد بإلقاء المتشابه، وكل ما لا يظهر للعقول معناه فيقولون: ما معنى الاغتسال من المني دون البول؟، ولمَ كانت أبواب الجنة ثمانية؟، وأبواب النار سبعة؟ ثم يشوقون إلى جواب هذه الأشياء، فإن سكت السائل سكتوا، وإن ألح قالوا: عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا السر، فإنه الدر الثمين، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا، ويقولون في الأيمان "وكل مالك صدقة، وكل امرأة لك طالق ثلاثا إن أخبرت بذلك" ثم يخبرونه ببعض الشيء، ويقولون: هذا لا يعلمه إلا آل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقولون: هذا الظاهر له باطن،

---

[٤] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦ \ ١ ص ٤٦١.

وفلان يعتقد ما نقول، ولكنه يستره، ويذكرون له بعض الأفاضل من الدعاة، والمصلحين ولكنهم في بلدان بعيدة يصعب عليهم التواصل معهم والتأكد من صحة خبرهم .

وكانوا يوصون دعاتهم فيقولون لهم: إذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك، أدخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقتلهم الحسين، وسبيهم لأهله، والتبري من تيم، وعدي، وبني أمية، وبني العباس، وقل بالرجعة، وأن عليا يعلم الغيب، فإذا تمكنت منه أوقفته على مثالب علي وولده، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد وغيره من الرسل صلاة ربي وتسليمه عليهم جميعا، وإن كان يهوديا فأدخل عليه من جهة انتظار المسيح، وأن المسيح هو محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو المهدي، واطعن في النصارى والمسلمين، وإن كان نصرانيا فاعكس، وإن كان صابئيا فعليك بتعظيم الكواكب، وإن كان مجوسيا فتعظيم النار والنور، وإن وجدت فيلوسوفيا فهم عمدتنا لأنا نتفق وهم على إبطال نواميس الأنبياء، وعلى قدم العالم، ومن أظهرت له التشيع فاظهر له بغض أبي بكر وعمر، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والإعراض عن الشهوات، ومر بالصدق والأمانة، والأمر بالمعروف، فإذا استقر عنده ذلك فاذكر له زلل أبي بكر وعمر، وإن كان سنيا فاعكس، وإن كان مائلا إلى المجون والخلاعة، فقرر عنده أن العبادة بله، والورع حماقة، وإنما الفطنة في اتباع اللذة، وقضاء الوطر من الدنيا الفانية، وقد يستصحبون من له صوت طيب بالقرآن، فإذا قرأ تكلم داعيهم، ووعظ وقدح في السلاطين، وعلماء الزمان، وجهال العامة، ويقول: الفرج منتظر ببركة آل الرسول صلى الله عليه وسلم، وربما قال: إن لله عز وجل في كلماته أسرارا لا يطلع عليها إلا من اجتباه الله [٥].



[٥] المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي . ١٢ \ ص ٢٩٤.

ومن عقائدهم الإلحادية أيضا كما وصفها ابن الجوزي: أنهم يقولون بوجود إلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق، واسم المعلول التالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي، لا بنفسه، وقد يسمون الأول عقلا، والثاني نفسا، والأول تاما، والثاني ناقصا، والأول لا يوصف بوجود، ولا عدم، ولا موصوف، ولا غير موصوف، فهم يؤمنون إلى النفي، لأنهم لو قالوا معدوم ما قبل منهم، وقد سموا هذا النفي تنزيها، ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من العقل السابق بواسطة الثاني قوة قدسية صافية، وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه، لا أنه شخص، وأن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل، فسمي كلام الله مجازا، لأنه مركب من جهته، وهذه القوة الفائضة على النبي، لا تفيض عليه في أول أمره، وإنما تتربى كنطفة.

أنكروا القيامة، وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا، وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر، ولا الجنة ولا النار[٦]

ولهم في كل آية أو حديث نبوي تأويل ومذهب يهدمون به عقيدة التوحيد، ويذهبون به إلى الإلحاد وإنكار الله ووجوده، وخلقه وتدبيره، ولا ينشرون هذه العقائد بين مريديهم الجدد حتى يتوثقوا تماما من ولائه وانغماسه في هذا المستنقع الرذيل .

انتشارهم في البحرين في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٢٨٦ هجرية.

كان ظهورهم العلني في الكوفة، وقبلها دعوتهم السرية في فارس، ولكن في سنة ٢٨٦ هجرية ظهر لهم رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي في ناحية البحرين، وهو من أبرز شخصياتهم الذين ساهموا في تأسيس هذه الفرقة، وقد استجاب لدعوة القرامطة التي كانت في الكوفة، واجتمع

[٦] المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي . ١٢ \ ص ٢٩٤.

إليه خلق كثير، حتى قوي عوده واشتد، فسار إلى القطيف وقتل فيها خلق كثير، وكان قاصدا البصرة، حتى وصل بعض رجالاته إلى ضواحي البصرة، فكتب والي البصرة وهو أحمد الواثقي إلى الخليفة يسأله المدد لقتالهم، فأمر المعتضد بالله قائده العسكري العباس بن عمرو بالتجهيز لقتال القرامطة، وأرسل معه قرابة ٢٠٠٠ مقاتل، وعندما وصل العباس بن عمرو البصرة أنضم إليه كثير من أهلها متطوعين لقتال هؤلاء الملاحدة الذين عاثوا في الأرض فسادا، وسار العباس بجيشه ومعه المتطوعون من أهل البصرة لقتال أبي سعيد الجنابي، ودار بينهم قتال شديد إلى الليل، وفي صباح اليوم التالي عادوا فاقتتلوا حتى انهزم جيش العباس بن عمرو، وأسر هذا الخبيث ما بقي من الجيش مع قائدهم العباس، ثم أمر بهم فقُتل جميع الأسرى ثم حرقهم أمام عين قائد الجيش العباس بن عمرو، ومنهم من اعتبره من العجائب أن يقتل صبرا جيش كامل وينجو قائده لوحده !.

واضطربت البصرة بأهلها بعد هذه المقتلة وكادوا يغادرونها ويفرون منها من هول ما سمعوا ورأوا من إجرام وإفساد ووحشية هؤلاء الملاحدة بعد قتلهم وحرقهم لأسرى المسلمين، فمنعهم من ذلك والي البصرة أحمد الواثقي .

وبقي العباس بن عمرو عند الجنابي أياما ثم أطلقه، وقال له: امض إلى صاحبك، وقص له ما رأيت، وأعطاه كتابا مختوما وقال له: أوصله إلى صاحبك المعتضد بالله فإن لي فيه أسرارا، فانطلق ووصل إلى بعض السواحل وركب البحر فوافى الأبلة، ثم سار منها إلى بغداد، فدخل على الخليفة المعتضد فعاتبه الخليفة، ثم أعطاه العباس الكتاب، فقال المعتضد: والله ليس فيه شيء، وإنما أراد أن يعلمني أني أرسلتك إليه في كثير من الجنود، فردك إلي فردا، وفتح الكتاب فلم يجد فيه شيئا مكتوبا !.



وبدأت دعوة القرامطة تنتشر في كل مكان، وبدأ ينضم إليهم من هو على شاكلتهم، وكبرت فتنتهم وخافهم الناس، لأنهم بلا رحمة ولا دين ولا يوجد ضابط ولا رادع لهم إلا السيف وهم منتشرون في أصقاع الأرض ليس لهم رأس، ويصعب حصرهم في مكان وقتالهم والقضاء عليهم، بخاصة بعد أن انتشر خبر هزيمة جيش العباس بن عمرو وما حصل لجيشه من قتل وحرق.

وفي سنة ٢٨٩ هجرية انتشر القرامطة في سواد الكوفة وعاثوا فيها فسادا، وكان رئيسهم رجل يقال له، ابن أبي الفوارس، فظفر به عسكر الخليفة المعتضد بالله، فحمل وجماعة معه إلى بغداد، فعذبوا بأنواع العذاب، ثم صلبوا وأحرقوا، وأما ابن أبي الفوارس فقلعت أضراسه، ثم شد في إحدى يديه بكرة، وفي الأخرى صخرة، ورفعت البكرة، فلم يزل على حاله إلى وقت الظهر، ثم قطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه [٧] .

مقتل اللعين القرمطي يحيى بن زكرويه في عهد المكتفي بالله سنة ٢٩٠ هجرية .

بعد وفاة الخليفة المعتضد بالله الذي أخمد نار هؤلاء الملاحدة، وقتله لابي الفوارس أحد أهم قياداتهم العسكرية هاجت مرة أخرى فتنة القرامطة، في عهد الخليفة المكتفي بالله، وخرجوا في الرقة وعاثوا في الأرض فسادا، وكان عليهم يحيى بْن زكرويه بْن مهرويه، المكنى بأبي الْقَاسِم، المعروف بالشيخ وواصل هذا اللعين مسيره بالجيوش حتى وصل إلى دمشق، فحاصر أهلها وقتل منهم خلقا كثيرا، وتصدى له الجيش ولكن سرعان ما انهزم وقُتل قائده بشير، وفي هذه المعارك منّ الله على المسلمين فقتلوا هذا اللعين يحيى بن زكرويه، قُتل على باب دمشق بعد أن كسر جيوش المسلمين وقتل قائدهم .



[٧] مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي . ١٦ \ ص ٢٥٥.

وبعد هلاك يحيى القرمطي أوكل القرامطة أمرهم إلى أخيه، الحسين بن زكرويه، وتسمى باسم أحمد بن عبد الله وكنى نفسه بأبي العباس، المعروف بصاحب الشامة، وادعى أنه المهدي، وأنه من ولد علي بن أبي طالب، فقويت شوكته ووصل إلى دمشق فصالحه أهلها على شيء فانصرف عنهم، ثم صار إلى أطراف حمص فتغلب عليهم وخطب له على منابرها وتسمى بالمهدي، ثم صار إلى حمص، فأطاعه أهلها، وفتحوا له بابها خوفا على أنفسهم، ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرها، فقتل أهلها وسبى النساء والصبيان، وسار إلى سلمية فحاربه أهلها، ثم وادعهم ودخلها فقتل من بها من بني هاشم، ثم قتل البهائم وصبيان الكتاتيب، ثم خرج إلى ما حول ذلك يقتل ويسبي ويخيف السبيل، ويستبيح وطء النساء، وربما أخذ المرأة فوطئها جماعة منهم، فتأتى بولد فلا يدرى من أيهم هو، فيهنأ به جميعهم .

خروج الخليفة المكتفي بالله من بغداد إلى الشام وقتل صاحب الشامة سنة ٢٩٠ هجرية .

كتب أهل الشام إلى الخليفة المكتفي بالله يشكون إليه حالهم، وما فعل بهم هؤلاء الملاحدة، فتهيأ الخليفة لقتالهم، وأطلق الأرزاق للجيش للخروج ومقاتلة القرامطة .

خرج الخليفة بنفسه على راس الجيش من بغداد مرورا بالموصل حتى استقر في الرقة، وبدأ يرسل الجيوش واحدا تلو الأخر لملاقاة القرمطي الحسين بن زكرويه المدعي أنه المهدي، وانه من ولد علي بن أبي طالب، حتى بدأ هذا اللعين يُرسل كتبه إلى اتباعه فيكتب فيها: "من عبد الله أَحْمَد بْن عبد الله المهدى المنصور باللَّه، الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم" .



وقد كلف الخليفة القائد العسكري محمد بن سليمان لقيادة الجيوش وقتال القرمطي صاحب الشامة، فسار محمد بن سليمان بالجيش حتى لقي صاحب الشامة في مكان قريب من حماة، والتقى الجيشان وكانت بينهم حرب عظيمة، ومعارك شرسة، انهزم فيها جيش القرامطة، وقُتلوا شر قتلة، وأُسر منهم خلق كثير، وتفرق الباقون في البوادي، وتبعهم أصحاب الخليفة .

فلما راى صاحب الشامة ما حل بجيشه هرب مع خاصته وحمل ما استطاع أن يحمله من الأموال وفر باتجاه الكوفة، وأرسل الخليفة المكتفي بالله في أثره وهو جالس في الرقة حتى استطاعوا أن يقبضوا عليه، وحمل بقيود إلى الخليفة في الرقة .

انتهت المعارك وظفر المسلمون بهؤلاء الملاحدة فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا منهم مثلهم، وأُسر كبيرهم اللعين القرمطي الحسين بن زكرويه صاحب الشامة، فغادر المكتفي بالله الرقة على راس الجيش ومعه الأسرى وعلى رأسهم صاحب الشامة باتجاه بغداد .

وأُدخل القرمطي بغداد على فيل، ثم أمر المكتفي بالله بحبسهم إلى أن يقدم قائده العسكري محمد بن سليمان الى بغداد، لأنه بقي في طلب بعض رؤوس القرامطة، وعجل المكتفي بالسير إلى بغداد، فمكن الله لمحمد بن سليمان أن يظفر بجماعة من أعيانهم ورؤسائهم، واحضرهم إلى بغداد، فأمر المكتفي بقطع أيديهم، وأرجلهم، وضرب أعناقهم بعد ذلك، وأخرجوا من الحبس، وفُعل بهم ذلك، وضرب صاحب الشامة مائتي سوط، وقطعت يداه، وكوي، فغُشي عليه، وأخذوا خشبا وجعلوا فيه نارا، ووضعوه على خواصره، فجعل يفتح عينه ويغمضها،

فلما خافوا موته ضربوا عنقه، ورفعوا رأسه على خشبة، فكبر الناس لذلك، ونُصب على الجسر في بغداد [٨] .

كبير القرامطة زكرويه بن مهرويه يهزم جيش الخليفة المكتفي بالله سنة ٢٩٤ هجرية.

كان زكرويه وهو من كبار قياداتهم، وأولاده الذين قتلوا على ما ذكرناه أيضا من أهم قيادات القرامطة، مختفيا لسنوات طويلة في مكان مخفي لا يعرفه إلا خاصته وكان إذا جد به الطلب وخاف على نفسه من الاعتقال دخل الجب أو البئر، وكان على الجب باب حديد محكم العمل، وكان زكرويه إذا خاف الطلب جعل تنورا هناك على باب الجب، وقامت امرأة تسجره، فلا يفطن إليه أحد، وبعد مقتل ولديه المذكورين وباقي قواده وجيشه الذي أبيد في الشام والكوفة، عمد إليه خاصته ودعاته الذين فُتنوا به فأخرجوه وحملوه على أيديهم، وسموه ولي الله، حتى سجدوا له، فقال لهم: ان القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمة ومنة، وأنه ردهم إلى الدين بعد خروجهم عنه، وأنهم إن امتثلوا أوامره أنجز موعدهم، وبلغوا آمالهم، ورمز لهم رموزا ذكر فيها آيات من القرآن نقلها عن الوجه الذي أنزلت فيه، فاعترف له من رسخ حب الكفر في قلبه أنه رئيسهم وكهفهم، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل.

ثم سار بهم زكرويه وهو محجوب عنهم لا يبرزونه لأحد فعظموا من شأنه، وجعلوا له قدسية خاصة من جهلهم وكفرهم .

وكان الخليفة المكتفي بالله قد أرسل خيرة قياداته بعد استغاثة والي الكوفة له لقتال القرامطة، فخرج إليهم جيش الخليفة فلقيهم في صوان وهي نهاية بلاد الشام، وللأسف انهزم جيش الخليفة وكثر فيهم القتل والأسر، فلم يسلم منهم إلا القليل، وغنم زكرويه القرمطي من الجيش الشيء العظيم حتى تقوى به جيشه، ولما ورد خبر هذه الوقعة إلى بغداد أعظمها

---

[٨] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦ \ ص ٢٣٩.

الخليفة والناس، وندب إلى القرامطة محمد بن إسحاق بن كنداج، وضم إليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم أكثر من ألفي رجل، وأعطاهم الأرزاق، ورحل زكرويه من مكانه إلى نهر المثنية لنتن القتلى [٩] .

القرمطي زكرويه يغير على قوافل الحجاج في عهد المكتفي بالله سنة ٢٩٤ هجرية.

بعد المعركة التي انتصر فيها هذا الخبيث خرج بجيشه ليقطع طريق الحجاج، واستطاع أن يعترض طريق حجاج أهل خُراسان، وهم عائدون من مكة بعد أداء فريضة الحج، فقتلهم جميعهم، ولم ينج منهم أحد، وسبوا النساء وغنموا كل الأموال والأمتعة فكان جملة ما قتلوا في هذه الحادثة قرابة ال ٢٠ ألف حاج، وسرقوا أموالا عظيمة وكبيرة، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج بالماء صفة أنهن يسقين الجرحى فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه لعنهن الله وقبح أزواجهن [١٠]، وبعد أن انتهوا من قتل قافلة الحجاج، نصبوا كمينا لقافلة أخرى وفعلوا بها ما فعلوا بالأولى، فعظم هذا عند الخليفة المكتفي بالله وعند الناس جميعا، وقد أنفذ إليهم الخليفة الجيش قبل هذه الحوادث وقد وصل الجيش الى القادسية، وبعد هذه الأخبار، أمدهم بجيش كبير ومهول وجعل عليه وصيف بن تكين مع جماعة من القواد والعساكر لإنهاء فتنة القرامطة وكبيرهم زكرويه .

مقتل اللعين زكرويه بن مهرويه سنة ٢٩٤ هجرية .

استفحل أمر القرامطة كثيرا وانتشرت فتنتهم في كل المعمورة، وعاثوا في الأرض فسادا وأُثقل الناس بهم، وخافوا شرهم، فلم يسلم منهم أحد، حتى قوافل حجاج بيت الله الحرام لم تسلم منهم، فقد أغاروا عليها وقتلوا أهلها، ونهبوا أموالهم، فأرسل المكتفي بالله الجيش الذي

---

[٩] الكامل في التاريخ لابن الاثير . بتصرف . ٦ \ ٥٥٣.
[١٠] البداية والنهاية لابن كثير . ١٤ \ ص ٧٣٥

ذكرناه فلقيهم زكرويه، ومن معه من القرامطة، فاقتتلوا يومهم، ثم حجز بينهم الليل، وباتوا يتحارسون، ثم بكروا للقتال، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من القرامطة مقتلة عظيمة.

ووصل عسكر الخليفة إلى عدو الله زكرويه، فضربه أحد الجنود وهو مول بالسيف على رأسه، فبلغت الضربة دماغه، وأخذه أسيرا، وأخذ خليفته وجماعة من خواصه وأقربائه، وفيهم ابنه، وكاتبه، وزوجته، وغنم الجند على ما في عسكر القرامطة .

وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات من أثر ضربة السيف لعنه الله، فسُيرت جثته النتنة والأسرى الملاحدة الذين كانوا معه إلى بغداد، وانهزم جماعة من أصحابه إلى الشام، فأوقع بهم الحسين بن حمدان، فقتلهم جميعا، وأخذوا جماعة من النساء والصبيان، وحمل رأس زكرويه إلى خُراسان، حتى لا يخاف الحجاج مرة أخرى، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق، فقتل بعضهم، وحبس آخرين ومات بعضهم في الحبس[١١] .

مقتل اللعين أبو سعيد الجنابي القرمطي سنة ٣٠١ هجرية .

قد تقدم ذكر اللعين ابو سعيد الجنابي في خلافة المعتضد بالله الذي اباد جيش المسلمين ولم ينج من الجيش إلا قائده فأرسله إلى الخليفة المعتضد بالله بعد أن قتل الجيش صبرا في ناحية البحرين، ليروي له تفاصيل ابادة جيش الخليفة، وبقي في تلك الناحية حتى هذا التاريخ، متغلبا على مدينة هجر- محافظة الإحساء اليوم في السعودية -، وفي هذه السنة قُتل هذا اللعين، وقتله أحد خدمه يدعى الصّعلبيّ في الحمام، لكونه أراده على الفاحشة، فلمّا دخل إليه قتله، وما زال يفعل ذلك بواحدٍ تلو واحدٍ حتّى قتل أربعة من أعيانهم، ثمّ دعا بالخامس، فلمّا رأى القتلى صاح، فصاحت النّساء، واجتمعوا على الخادم فقتلوه[١٢]، وقد

---

[١١] الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصرف . ٦ \ ٥٥٨.
[١٢] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي . ٢٣ \ ص ١٠.

كَانَ أَبو سعيد عهد إلى ابنه سعيد فلم يضطلع بالأمر فغلبه عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان بْن أبي سعيد، عليه وعلى أبيه لعان الله تترا .

دخول أبو طاهر القرمطي إلى البصرة وتخريبها في سنة ٣١١ هجرية .

بعد مقتل اللعين أبو سعيد الجنابي، وتولي ابنه أبو طاهر سليمان من بعده، وهم ما زالوا في ناحية البحرين، أغار هذا اللعين أبو طاهر القرمطي في سنة ٣١١ هجرية على مدينة البصرة في وقت السحر ومعه قرابة ١٧٠٠ فارس من اصحابه، ونصب السلالم، وصعد على الأسوار، ثم نزل البلد، وقتل البوابين الذين كانوا على الأبواب، وفتح الأبواب، وطرح بين كل مصراعين منها حصى ورملا كان معه على الجمال؛ لئلا يمكن غلق الأبواب، ووضع السيف في أهل البصرة، وأحرق المربد والجامع ومسجد طلحة، وهرب الناس، وألقوا بانفسهم في الماء فغرق معظمهم، وأقام القرمطي بالبصرة ١٧ يوما ينقل على جماله كل ما قدر عليه من الأمتعة والنساء والصبيان، وخرج عنها بما أخذه وانصرف إلى بلده في البحرين [١٣] .

أبو طاهر القرمطي يغير على قافلة الحجاج في عهد المقتدر بالله سنة ٣١٢ هجرية.

وعظمت فتنة هذا اللعين القرمطي، فبعد أن أغار على البصرة وقتل وسبى وخرب المدينة، وعاد إلى دياره في هجر قرب البحرين، خرج مرة أخرى في سنة ٣١٢ هجرية فأغار على قوافل الحجاج العائدين من مكة بعد تأديتهم مناسك الحج، فأغار عليها وكان فيها كثير من أعيان بغداد، وفيها أموال كثيرة، فأوقع بهم وأخذهم، وأسروا أبا الهيجاء بن حمدون، وأحمد بن كشمرد، وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر، وأخذ أبو طاهر اللعين ابل الحجاج جميعها وما أراد من الأمتعة، والأموال، والنساء، والصبيان، وعاد إلى هجر وترك الحجاج في مواضعهم، فمات

[١٣] مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، لسبط ابن الجوزي . ١٦ \ ص ٤٩٧.

أكثرهم جوعا، ومن حر الشمس[١٤]، ووصل الخبر إلى بغداد فهاجت الناس في الشوارع، وانقلبت بغداد رأسا على عقب، وخرجت النساء من ذوي الحجاج في الشوارع، وحملن ابن الفرات وزير المقتدر التقصير، حتى رمينه بالحجارة، وقد اتهم الوزير بمهادنة ومكاتبة اللعين القرمطي .

وكانت صورة فظيعة شنيعة، وكسر العامة منابر الجوامع، وسودوا المحاريب يوم الجمعة، وضعفت نفس ابن الفرات الوزير، وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله، وحضر نصر الحاجب المشورة فانبسط لسانه على ابن الفرات، وقال له: الساعة تقول أي شيء نصنع، وما هو الرأي بعد أن زعزعت أركان الدولة، وعرضتها للزوال في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ومكاتبته، ومهادنته[١٥]، وكان بين نصر الحاجب والوزير ابن الفرات عداوة ظاهرة وتنافس، والدولة في أشد مراحل ضعفها، فقد كثرت فيها الرشوة، والمحسوبية والتنافس بين عمالها ووزرائها، وسيطرة الخدم والموالي والنساء على قرارات الدولة، فاستغل القرامطة والفاطميون ضعف الدولة، وعاثوا في الأرض فسادا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم أُعتقل الوزير ابن الفرات مع أولاده وتم مصادرة كل أمواله وأملاكه، وهرب ابنه المحسن، وبعد فترة قبض عليه، وكانت مشورة الحاجب والقائد مؤنس بقتل ابن الفرات وولده المحسن فأجابهم المقتدر بالله وأمر بقتلهم فذبحوا ذبحا .

أبو طاهر القرمطي يغير على الكوفة سنة ٣١٢ هجرية.

في حادثة الحجاج العائدين من مكة إلى بغداد، قد ذكرنا أن اللعين القرمطي قتل منهم خلقا كثيرا،وأسر منهم ايضا، ومن ضمن الأسرى أبو الهيجاء، وقد كلم ابو الهيجاء القرمطي في اطلاق الأسرى وإرسالهم إلى الخليفة لعله يسلمه بعض المدن، وفعلا أطلق القرمطي الاسرى

---

[١٤] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦\١ ص ٦٩٠.
[١٥] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦\١ ص ٦٩٠.

ومن ضمنهم ابو الهيجاء وأرسل معهم رسول إلى بغداد، وطلب من الخليفة أن يسلمه البصرة والأهواز فلم يجبه إلى ذلك الخليفة .

فخرج القرمطي اللعين يريد الكوفة متربصا بالحجاج الجدد الذين خرجوا من بغداد قاصدين مكة، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلدا أعمال الكوفة وطريق مكة، فلما سار الحجاج من بغداد سار جعفر بين أيديهم خوفا من اللعين القرمطي، ومعه ١٠٠٠ رجل من بني شيبان، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر، وجني الصفواني، وطريف السبكري وغيرهم، في ٦ آلاف رجل، فلقي أبو طاهر القرمطي جعفرا الشيباني، فقاتله جعفر، فبينما هو يقاتله إذ طلع جمع من القرامطة عن يمينه، فانهزم من بين أيديهم فلقي القافلة الأولى وقد انحدرت من العقبة، فردهم إلى الكوفة ومعهم عسكر الخليفة، وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة، فقاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة، وقتل منهم، وأسر جنيا الصفواني، وهرب الباقون والحجاج من الكوفة، ودخلها أبو طاهر، وأقام ٦ أيام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهارا فيقيم في الجامع إلى الليل، ثم يخرج يبيت في عسكره، وحمل منها ما قدر على حمله من الأموال والثياب وغير ذلك، وعاد إلى مدينة هجر، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس إلى الجانب الشرقي، ولم يحج في هذه السنة من الناس أحد [١٦] .

اعتراض أصحاب القرمطي قافلة الحجاج سنة ٣١٣ هجرية.

عظم خطر القرامطة، واستفحل أمرهم ولم تعد الدولة قادرة على إنهاء فتنتهم، ومازال اللعين أبو طاهر القرمطي وهو شاب عمره ١٧ سنة، يقود الجيوش ويغير على الحجاج، كما فعل في مواسم الحج الماضية، وفي سنة ٣١٣ هجرية، خرج هذا اللعين وقطع الطريق على

[١٦] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦ \ ٦٩٧.

حجاج هذا الموسم، فقاتلهم أصحاب الخليفة، فانهزموا، ووضع القرامطة على الحاج قطيعة، -مبلغ من المال- فأخذوها، وكفوا عنهم، فساروا إلى مكة [١٧] .

دخول أبو طاهر القرمطي العراق في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٥ هجرية .

لقد تفلتت فتنة القرامطة عن السيطرة، ولم يعد باستطاعة الدولة العباسية أن تنهيها أو تقضي عليها، وكلما تقدمت الأيام توسع نفوذهم وملكوا كثيرا من المدن، واستولوا على كثير من الأموال والمتاع، ومن باب آخر يكثر اتباعهم من اللصوص وأصحاب الاهواء، وقد اتخذوا من مدينة هجر مقرا لهم، يصولون ويغيرون ثم يعودون إلى هجر، وما زال الشاب الصغير أبو طاهر القرمطي على رأس هؤلاء الملاحدة، وفي سنة ٣١٥ هجرية، تهيا القرامطة لدخول العراق وجهزوا أنفسهم لذلك، وخاف أهل بغداد من وصول القرامطة إلى ديارهم، وتقدم جيش القرامطة بقيادة ابو طاهر القرمطي نحو الكوفة، ومعه ألف فارس، وخمسمائة من الراجلة فقط، وكلف الخليقة يوسف بن أبي الساج بقيادة الجيش وأمره بالخروج لمقاتلة القرامطة، وجهز له جيشا عظيما قوامه عشرون الف بين فارس وراجل، مجهزين بأفضل عدة، ورغم هذا الفارق في العدة والعدد بين الجيشين، وفور وصول القرمطي إلى الكوفة هرب عنها عمال الخليفة، وقد كَانَ بُعث ليوسف أمير الجيش مائة كر من الدقيق وألف كر من الشعير، فأخذها القرمطي فقوي بها وضعف يُوسُف وجيشه وقلت مؤنهم، وسبق القرمطي إلى الكوفة قبل يُوسُف بيوم، فحال بينه وبينها، وبعث يُوسُف إليه ينذره ويقول له: إن أطعت وإلا فالحرب فأبى أن يطيع، فوقعت الحرب بينهما على باب الكوفة، ولما عاين يُوسُف عسكر أبي طاهر احتقره، وَقَالَ: من هؤلاء الكلاب حتى أفكر فيهم؟ .

---

[١٧] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦ \ ٧٠٢.

واستطاع اللعين أن يهزم جيش الخليفة، ويأسر يوسف أمير الجيش، ثم قطع رأسه، واستولى على أموال عظيمة، وغنائم كثيرة، وقيل لبعض أصحاب القرمطي: كيف تغلبون مع قلتكم؟ فقالوا: نحن نقدر السلامة في الثبوت، وهؤلاء يقدرونها في الهرب [١٨]، وورد الخبر إلى بغداد بذلك، فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفا شديدا، وعزموا على الهرب إلى حلوان وهمذان، ودخل المنهزمون بغداد، أكثرهم رجالة، حفاة، عراة [١٩] .

وغادر القرمطي أبو طاهر الكوفة باتجاه الانبار، فقطع الأهالي الجسر، وبعد محاولات من القرمطي نجح في العبور وأعاد ربط الجسر والسيطرة على الأنبار والاستيلاء عليها، وهو بهذا العدد القليل من جنوده، مقابل أضعاف مضاعفة من جيوش المسلمين التي وقفت عاجزة أن تصد القرمطي أو تهزمه، وهي حالة تعكس التشرذم والضعف والهوان التي كانت تعيشها الدولة العباسية في ذلك الوقت، حتى قال الخليفة المقتدر بالله: لعن الله نيفا وثمانين ألفا يعجزون عن ألفين وسبعمائة! .

وبعد أن سيطر القرمطي على الأنبار لم يبق بينه وبين بغداد دار الخلافة ومقر حكم الخليفة إلا القليل، وهو عازم على دخولها، وجهز نفسه وجيشه لذلك، ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى الأنبار، خرج نصر الحاجب في عسكر جرار، وساروا حتى بلغوا نهر زبارا، وهو على مشارف بغداد، عند ناحية عقرقوف من قضاء أبي غريب حاليا، وهي أطراف بغداد الغربية، فأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التي عليه، فقطعوها، وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم، فبلغوا نهر زبارا عند القنطرة فرآوها مقطوعة، وأراد القرامطة العبور، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم، فلما رأى ابن حمدان ذلك قال

[١٨] المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي . بتصرف ١٣ \ ص ٢٦٤ .
[١٩] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٦ \ ص ٧١٢.

لمؤنس أمير الجيش: كيف رأيت ما أشرت به عليكم؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لإنهزم كل من معك ولأخذوا بغداد، ولما رأى القرامطة ذلك، عادوا إلى الأنبار.

ارتجت بغداد بأهلها، وخرج الناس هائمين على وجوههم، خائفين من القرامطة، الذين اصبحوا على مشارف بغداد من جهتها الغربية، وأغلبهم قد حزم أمتعته وجمع أمواله لمغادرة بغداد باتجاه واسط وخراسان .

وقصد القرامطة مدينة هيت، وكان الخليفة المقتدر بالله قد سير إليها سعيد بن حمدان، وهارون بن غريب، فلما بلغها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم على السور، فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة، فعادوا عنها [٢٠].

ثم سار القرامطة من الأنبار وهيت باتجاه الموصل والشام ثم إلى الرقة، وكلما مروا على مدينة قاتلوا أهلها، وسبوا نساءهم، وغنموا ما فيها من أموال ومتاع، حتى عظم أمرهم وأصبح خطرهم يهدد جميع بلدان المسلمين .

الدعوة العلنية للقرامطة في العراق سنة ٣١٦ هجرية .

انتشرت دعوة القرامطة في غالب بلدان المسلمين، وكان لهم كثير من الأتباع الذين لم يعلنوا مذهبهم خوفا من القتل، ولكن بعد أن تمكن القرمطي أبو طاهر، وانهزم أمامه جيوش الخليفة في أكثر من موطن، خرج رجل من أتباعه في واسط يدعى "حريث بن مسعود" واجتمع له قرابة عشرة آلاف رجل، وخرج رجل ثان في عين تمر يدعى "عيسى بن موسى" واجتمع له خلق كثير، وقاتلوا عمال الخلافة وطردوهم وجبوا الخراج لهم، فسير لهم الخليفة الجيوش إلى الناحيتين، واستطاعت جيوش الخلافة أن تهزم الجمعين، ويقتلوا من القرامطة خلقا كثيرا

[٢٠] الكامل في التاريخ لابن الأثير بتصرف . ٦\١ ص ٧١٣.

وأسروا أضعافهم، فسحقوهم وانتهت دعوتهم في هذين البلدين بعد هذه المعركة في سنة ٣١٦ هجرية .

أبو طاهر القرمطي يدخل مكة ويسرق الحجر الأسود سنة ٣١٧ هجرية .

خرج هذه المرة اللعين في مكة، بعد أن خرج الحجاج من بغداد يقصدون مكة لتأدية مناسك الحج، وكان أمير الحج في سنة ٣١٧ هجرية منصور الديلمي، فوصلوا مكة سالمين واجتمعت لهم الحجيج من كل مكان، وظنوا أنهم سلموا من القرامطة، فقد اعتادوا أن يهاجمون الحجاج في طريق الذهاب أو العودة .

يقول ابن كثير: فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم، واستباح قتالهم، فقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي - لعنه الله - على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله في المسجد الحرام في الشهر الحرام، ثم في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول:

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا.

فكان الناس يفرون فيتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، ثم أمر القرمطي - لعنه الله - أن تدفن القتلى ببئر زمزم، ودفن كثيرا منهم في أماكنهم، وهدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة، فأراد أن يقتلعه، فسقط على أم رأسه، فمات لعنه الله وصار إلى أمه الهاوية، فانكف اللعين عند ذلك عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، وجاءه رجل فضرب الحجر بمثقل في يده، وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين

الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود - شرفه الله وكرمه وعظمه - وأخذوه معهم حين راحوا إلى بلادهم، فكان عندهم ٢٢ سنة حتى ردوه [٢١] .

خروج أبو طاهر القرمطي على الحجاج في عهد الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٣ هجرية .

وفي سنة ٣٢٣ هجرية حضر موسم الحج فخرج الحجاج من بغداد قاصدين بيت الله الحرام لتأدية المناسك، وكان عليهم لؤلؤ غلام المتهشم، وفي طريقهم إلى مكة اعترضهم اللعين أبو طاهر القرمطي، ولم يكن عند لؤلؤ خبر منه، وإنما ظنه من الأعراب، فحاربه فانهزم لؤلؤ وبه عدة ضربات وجراحات، وأكثر أَبُو طاهر القتل في الحجاج ونهب أموالهم ومتاعهم، ورجع من نجا منهم إلى بغداد، وإلغي موسم الحج في هذه السنة بسبب الحادثة، والتي تكررت في أكثر من موسم على يد هذا اللعين القرمطي، ولم يكن باستطاعة الدولة صده أو القضاء عليه، وقد عظم هذا الأمر على الخليفة الراضي بالله، ولكن يبدو لم تكن له القدرة والسلطة الكاملة في تجهيز الجيوش وتسيرها لقتال هذا القرمطي الذي عاث في الأرض الفساد، يقول الصولي: ونال الراضي من ذلك أمر عظيم، وصام أياماً وكان يقول: لو كان لي مال كمال المكتفي حين فعل زكرويه بالحاج ما فعل، فطلبه بالجيش والأموال حتى قتله لما رضيت والله إلا أن أخرج بنفسي إلى البحرين. ولكن ما حيلتي في جند مستحثين، قد ملكوا الأمر دوني وعوز مال، وانخراق هيبة، إلى الله أشتكي وبه استنصر [٢٢] .

اقتتال القرامطة فيما بينهم سنة ٣٢٦ هجرية .

وفي سنة ٣٢٦ هجرية اقتتل القرامطة لعنهم الله فيما بينهم، وقد كلفهم هذا الاقتتال فقدان كثير من القادة والخواص، وكانت من نتائجه انحيازهم وبقائهم في مقرهم بمدينة هجر

---

[٢١] البداية والنهاية لابن كثير . ١٥ \ ص ٤٢.
[٢٢] أخبار الراضي بالله والمتقي لله للصولي . \ص ٦٩.

من السعودية قرب حدود البحرين ولم يخرجوا منها في عهد الخليفة الراضي بالله وقد أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ القصة كاملة نوردها لكم هنا كما جاءت في الكتاب يقول ابن الأثير: في هذه السنة -أي سنة ٣٢٦ هجرية- فسد حال القرامطة، وقتل بعضهم بعضا، وسبب ذلك أنه كان رجل منهم يقال له ابن سنبر، وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطلعين على سره، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك، فعمد ابن سنبر إلى رجل من أصبهان، وقال له: إذا ملكتك أمر القرامطة، أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص، فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه، فأطلعه على أسرار أبي سعيد، وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذي يدعون إليه، فحضر عند أولاد أبي سعيد، وذكر لهم ذلك، فقال أبو طاهر: هذا الذي يدعو إليه، فأطاعوه، ودانوا له، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله، وكان إذا كره رجلا يقول له إنه مريض، يعني أنه قد شك في دينه، ويأمر بقتله.

وبلغ أبا طاهر أن الأصبهاني يريد قتله ليتفرد بالملك، فقال لإخوته: لقد أخطأنا في هذا الرجل، وسأكشف حاله، فقال له: إن لنا مريضا، فانظر إليه ليبرأ، فحضروا وأضجعوا والدته وغطوها بإزار، فلما رآها قال: إن هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه، فقالوا له: كذبت، هذه والدته، ثم قتلوه بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا من عظمائهم وشجعانهم. وكان هذا سبب تمسكهم بمدينة هجر، وترك قصد البلاد، والإفساد فيها [٢٣] .

حجاج العراق يدفعون المكوس إلى القرامطة في سنة ٣٢٧ هجرية .

وهذه حالة أخرى تعكس ضعف الدولة العباسية واين وصل بها الحال حين اضطرت أن تدفع المكس للقرامطة ليسمحوا لحجاج أهل العراق بالمرور إلى بيت الله الحرام وتادية مناسك الحج، ففي سنة ٣٢٧ هجرية كتب أَبُو عَلِي عمر بْن يحيى العلوي إلى القرامطة، الذين

[٢٣] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٧ \ ١ ص ٧٦.

يسيطرون على طريق الحج، وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه، وسألهم أن يأذنوا للحجيج ليسير بهم ويعطيهم من كل جمل خمس دنانير، ومن المحمل سبعة دنانير، فأذنوا لهم، فحج الناس وهي أول سنة مكس فيها الحاج [٢٤] .

وفاة أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي سنة ٣٣٢ هجرية .

وفي هذا السنة اراح الله البلاد والعباد من هذا اللعين الذي عاث في الأرض فسادا، وقد تقدمت سيرته وما فعله في بلاد المسلمين، حتى سرق الحجر الأسود من مكة وحمله معه إلى بلده في هجر، ولما مات أبو طاهر هذا قام بالأمر من بعده في القرامطة إخوته الثلاثة ؛ وهم أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف، بنو أبي سعيد الجنابي، لعنهم الله، وكان أبو العباس ضعيف البدن، مقبلا على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلا على اللهو واللعب، ومع هذا كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضا، قبحهم الله أجمعين [٢٥] .

القرامطة يعيدون الحجر الأسود إلى مكة سنة ٣٣٩ هجرية .

لقد تقدم خبر القرامطة عندما سرقوا الحجر الاسود من مكانه في مكة، ونقله إلى مقرهم ودار حكمهم في مدينة هجر قرب البحرين، وقد فشلت كل المحاولات لاسترجاعه، حتى بذل لهم القائد التركي بجكم في حينها ٥٠ ألف دينار فلم يوافقوا على إعادته، ولم يستطع أحد أن يسترجعه منهم لا بالقوة ولا مفاداة بالمال، واستمر بحوزتهم حتى عام ٣٣٩ هجرية، أي بعد ٢٢ سنة من سرقته .

[٢٤] المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي . ١٣ \ ص ٣٧٨.
[٢٥] البداية والنهاية لابن كثير . ١٥ \ ص ١٥٨.

وفي سنة ٣٣٩ هجرية حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعه، ليراه الناس، وكتب إخوة أبي طاهر كتابا فيه: إنا أخذنا هذا الحجر بأمر، وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه، ليتم حج الناس ومناسكهم، ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء، ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا [٢٦].

صاحب عُمان والقرامطة يغيرون على البصرة سنة ٣٤١ هجرية .

استمرت الفتن في هذه المرحلة، وكان البقاء للأقوى والكل يسعى للسيطرة على المدن وتوسعة مملكته وسلطانه، والجميع يحاول أن يستثمر الظروف لصالحه، ويستغل ضعف الدولة العباسية، ليستولي على الولايات والمدن، وفي سنة ٣٤١ هجرية استغل يوسف بن وجيه الذي يحكم عُمان الخلاف الذي حصل بين معز الدولة البويهي والقرامطة عندما طلب القرامطة من معز الدولة أن يستأذنهم إذا سار بجيشه في البر عبر الأراضي التي يسيطرون عليها، فوبخهم معز الدولة ووعدهم أن يفتح بلدانهم بعد أن يفتح البصرة، فاستغل يوسف بن وجيه هذا الخلاف وكتب إلى القرامطة يطلب منهم أن يمدوه بالرجال من ناحية البر ليستولوا على البصرة، التي استولى عليها معز الدولة وطرد البريديين، فاستجابوا له القرامطة وخرج أبو يعقوب القرمطي بجيشه مساندا يوسف بن وجيه .

وعندما وصل الخبر لمعز الدولة أرسل وزيره المهلبي، الذي كان في الأهواز، وكان الحسن بن محمد المهلبي قد استلم وزارة معز الدولة بن بويه بعد أن توفي أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري، وزيره السابق في سنة ٣٣٩ هجرية، فعجل الوزير بالجيوش من الأهواز ودخل البصرة قبل بن وجيه والقرامطة، وأمده معز الدولة بالعساكر وما يحتاج إليه، وتحارب هو

[٢٦] البداية والنهاية لابن كثير . ١٥ \ ص ٢٠٤.

وابن وجيه أياما، ثم انهزم ابن وجيه، وظفر المهلبي [٢٧]، وأسر جماعة من أصحابه وسبى كثيرا من مراكبه، فساقها معه في دجلة، ودخل بها إلى بغداد في أبهة عظيمة[٢٨] ، وعاد بن وجيه إلى عُمان وكذلك عاد القرمطي إلى بلدته هجر.

القرامطة تتحالف مع بختيار البويهي على قتال الفاطميين في الشام سنة ٣٦٠ هجرية.

أصبحت الدولة العباسية مضطربة، ومختلة أركانها، وتموج فيها الفتن من كل جانب، واضعف ما فيها مركزها وسلطانه، وقويت الدول التي استقلت عن الخلافة ومحاربتها، وبدأت بغزو المدن وسيطرتها عليها واضافتها إلى دولتها، كما فعل العبيديون أخيرا واستيلائهم على الشام بعد أن سيطروا على مصر بقيادة الأمير جعفر بن فلاح، وكان على الشام الحسن بن طغج، فقاتله وأسره واستولى على الشام .

لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح على الشام أهمهم وأزعجهم وقلقوا لأنه كان قد تقرر بينهم وبين ابن طغج أن يحمل إليهم كل سنة ثلثمائة ألف دينار، فلما ملكها جعفر علموا أن المال لن يأتيهم بعدها، فعزموا على قصد الشام، وكان عليهم الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي، فأرسل إلى عز الدولة بختيار يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال، فأجابه إلى ذلك، واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلى الكوفة سائرين إلى الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا " إلى الكوفة أوصل إليهم ذلك، وساروا إلى دمشق.

وبلغ خبرهم إلى جعفر بن فلاح فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه، وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، وساروا إلى

---

[٢٧] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٧ \ ص ١٩٨.
[٢٨] البداية والنهاية لابن كثير . ١٥ \ ص ٢٠٨.

الرملة، واستولوا على جميع ما بينهما[29]، ومنها خرجوا يريدون مصر فاجتمع معهم خلق كثير، وتقاتلوا معهم أياما فلم يستطيعوا أن يدخلوا فعادوا إلى الشام وسكنوا الرملة .

وكانت القرامطة قد ولت عليها يوسف بن أبي سعيد الملقب أبي يعقوب القرمطي، بعد وفاة أخيه سعيد بن أبي سعيد القرمطي الملقب بأبي القاسم، ولم يبق من أولاد أبي سعيد الجنابي غير ابي يعقوب المذكور، وعقد القرامطة الأمر من بعد أبي يعقوب لستة نفر من أولادهم شركة بينهم .

وقع الحرب بين الفاطميين والقرامطة في سنة ٣٦٣ هجرية .

بعد أن استولى المعز لدين الله الفاطمي على مصر واستقر له الحكم هناك، سار إليه القرامطة بجيوشهم، بقيادة الحسن بن أحمد، فلما سمع بهم العلوي، كتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته، وأن الدعوة واحدة، وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه، وإلى آبائه من قبله، ووعظه وبالغ، وتهدده، وسير الكتاب إليه، فكتب جوابه: وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله، ونحن سائرون إليك على أثره، والسلام .

وكثر جيش القرامطة وانضم إليه حسان بن الجراح الطائي، أمير العرب بالشام، ومعه جمع عظيم، فلم يستطع العلوي رد الجيش أو قتاله، فعمد إلى حيلة تفريق كلمة الجيش القرمطي، فكتب إلى حسان بن الجراح، ووعده أن يرسل له مئة الف دينار إذا خذل جيش العلوي وخرج منه، فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس .

ولكن المعز خدعه فصك له الدنانير من مادة النحاس والبس عليهن الذهب، وحملهن إليه، فخذله في المعركة وفر من القرمطي، وضعف جيشه، فهزمهم المعز، وظفر بمعسكرهم وأخذوا

[29] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ١٧ ص ٢٩٩.

من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير، فضربت أعناقهم، ونهب ما في المعسكر، وفر القرامطة من حيث أتوا من جهة الإحساء [٣٠] .

فرار القرامطة من الشام واستيلاء الفاطميين عليها سنة ٣٦٣ هجرية .

بعد الهزيمة التي لحقت بالقرامطة في مصر على يد الفاطميين، أرسل المعز لدين الله الفاطمي، جيشا إلى دمشق وكان يسيطر عليها القرامطة وعليهم أبو الهيجاء القرمطي، فحاصرها القائد الفاطمي حصارا شديدا، فسلمت له بدون قتال، واعتقل ابو الهيجاء القرمطي وارسل إلى مصر مقيدا، واصبحت دمشق بيد الفاطميين .

دخول القرامطة الكوفة سنة ٣٧٥ هجرية .

في سنة ٣٧٥ هجرية دخل كل من إسحاق وجعفر وهما من الستة الذين ذكرناهم من سادات القرامطة إلى الكوفة، وسيطروا على المدينة، وكانت لهم هيبة وقوة واتباع كثر، حتى أن عضد الدولة وبختيار أصحاب الدولة البويهية قديما كانوا يهابونهم ويقطعون لهم الأراضي ويعطوهم العطايا .

وكان للقرامطة في بغداد نائب لهم يعرف بأبي بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة البويهي، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما، فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده، وبثا أصحابهما وجبيا المال.

ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر إلى الجامعين [٣١]، وهو من أكابرهم، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات إليه وقاتلوه فانهزم عنهم، وأسر أبو قيس

[٣٠] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ١٧ ص ٣١٩.

وجماعة من قوادهم فقتلوا فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر في عدد كبير فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة البويهي بالجامعين أيضا، وانتهت الوقعة بهزيمة القرامطة، وقتل مقدمهم وغيره، وأسر جماعة منهم، ونهب سوادهم، فلما بلغ المنهزمون إلى الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر إلى القادسية فلم يدركوهم وزال من حينئذ ناموسهم

[٣٢]، وانكفى شرهم في هذه المناطق، وانحصر تواجدهم في مدينة هجر على حدود البحرين، ولكن ما زالوا أيضا يشكلون خطرا على البصرة والمدن القريبة من تواجدهم .

إغارة القرامطة بقيادة اسحاق وجعفر على البصرة سنة ٣٧٥ هجرية .

استمر خطر القرامطة على جميع البلدان القريبة منهم، فكانوا يستغلون الفراغ الأمني أو إنشغال الجيوش في الحروب والمعارك، فيغيرون على المدن والولايات فينهبوا الأموال ويعيثون في الأرض الفساد، وفي سنة ٣٧٥ هجرية أغارت جماعة من القرامطة على مدينة البصرة بقيادة إسحاق وجعفر، في جموع كثيرة، فأقاموا الخطبة لشرف الدولة، وجَبَوا البلاد من الأموال، فبعث إليهم صَمْصام الدولة جيشًا فهزمهم، وعادوا إلى هجر ديارهم قرب البحرين [٣٣]

مرة أخرى تغير القرامطة على البصرة في عهد القادر بالله سنة ٣٨٥ هجرية .

لم تنقطع محاولات القرامطة من السيطرة على مدينة البصرة، ولكنهم يعلمون أنهم لن يستطيعوا التمركز فيها والسيطرة عليها بشكل كامل، يمنعهم منها المسلمون لأهمية المدينة للدولة الإسلامية، فإنهم يستخدمون تكتيك الإغارة السريعة، ويكتفون بنهب الأموال والإضرار بالمدينة، وفي سنة ٣٨٥ هجرية تحرك القرامطة من ديارهم في مدينة هجر باتجاه البصرة، وعلم أهل البصرة بذلك، فكتبوا إلى الخليفة القادر بأمر الله يستنجدونه، وهرب من المدينة

---

[٣١] وهي مدينة الحلة اليوم، وكانت تسمى قديما الجامعين قبل أن يبنيها بني مزيد.
[٣٢] الكامل في التاريخ لابن الأثير . ٧\١ ص ٤٠٩.
[٣٣] مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لسبط الجوزي . ١٨\١ ص ١٦.

الرجال والنساء والأطفال خوفا من القرامطة لما يعلمونه من وحشية هؤلاء الملعونين في حالة تمكنهم من المدينة، فأمر الخليفة السلطان بهاء الدولة البويهي بمعالجة الأمر، فجهز إليهم بهاء الدولة جيشا للمسير إليهم وقتالهم، فلما علم القرامطة بتجهز بغداد جيشا لقتالهم رجعوا إلى بلادهم خائبين، وبدات القرامطة بعد هذه الأحداث بالضعف والانكفاء في مناطقهم، وحتى مناطقهم بدأت تضيق عليهم، لنفرة الناس من دعوتهم، اضافة إلى ملاحقتهم من قبل البويهيين ثم السلاطين السلاجقة.

استيلاء أبا البهلول على جزيرة أُوال "البحرين" إحدى معاقل القرامطة سنة ٤٨٥ هجرية .

لم يبقى للقرامطة قوة تكفي أن يغيروا بها أو يسطوا على المدن الإسلامية كما فعلوا قديما في الكوفة والبصرة والأنبار وغيرها، وبقيت قوتهم محصورة في معاقلهم القديمة في مدينة هجر، وكانت لهم جزيرة أُوال -وهي دولة البحرين اليوم- فثار أهل هذه الجزيرة على القرامطة وأمروا عليهم رجل منهم يدعى أبا البهلول عزام بن محمد بن يوسف بن الزجاج، وبعد أن تملك الجزيرة خطب بها للخليفة القائم بأمر الله، وكانت الخطبة في الجزيرة للدولة الفاطمية في مصر.

وبعد أن سمع القرامطة باحداث البحرين وتملك ابا البهلول للجزيرة، بعثوا إليه جيشًا لرد المدينة إليهم فهزموه أهل المدينة، وكان أبو البهلول وأخوه أبو الوليد من أهل الدِّين، رافضين تسلط القراطة، ولهم قبول عند الاهالي، فاجتمع أهلُ الجزيرة عليهما حتى قويا واشتد عودهما واصبحا قوة لا يستهان بها في جزيرة البحرين، ولكن ما زال للقرامطة قوة هناك، ولهم نائب ووالي داخل الجزيرة، فأمروه بأن يصادر أموال الأهالي فامتنع نائبهم فعزلوه، وبعثوا بوالي جديد وامروه أن يعتقل ابا البهلول وأخاه ومن يوافقهما بالراي، فأجتمع كبار ووجهاء المدينة

إلى أبا البهلول حتى بلغ جنده قرابة ثلاثين الف مقاتل فزحفوا على الوالي الجديد فقاتلوه وقتلوا كثيرا من أتباعه وولى هو هاربا خارج الجزيرة .

وكان وزير القرامطة انذك أبو عبد الله بن سَنْبَر وكان قد بعث أحد أولاده إلى عمان لحمل المال والسلاح للتقوية بها على قتال أبا البهلول، فسمع بالخبر أبو البهلول فأعد له كمينا محكما فقتله وقتل معه أربعين رجلًا من اصحابه صبرًا، وأخذ ما كان معه من المال وهو قرابة الخمسة آلاف دينار إضافة إلى ثلاثة آلاف رمح، ففرَّق المال والسلاحَ على عسكره وجنده .

وكان من القادة ووجهاء الجزيرة الذين اجتمعوا إلى أبي البهلول رجل يدعى ابن أبي العريان وهو رئيس على قبيلته، وله شأن كبير عندهم، ومطاع الأمر فيهم، فلما وصل الخبر إلى الوزير القرمطي بن سنبر بمقتل ولده وذهاب المال والسلاح، أشتد غضبه على أبي البهلول، فكتب إلى ابن أبي العريان يعده إمارة الجزيرة، وبذل له أموال عظيمة في حال انقلب على أبي البهلول وصار في جانبه، فقبل عرضه العريان وجمع أهله وعشيرته وقال لهم: لا طاقة لنا بمقاتلة القرامطة، بل يجب علينا أن نهادنهم، فقالوا له اتباعه نحن تبع لرأيك، فبدأ العريان بنقض تحالفه مع أبي البهلول، والاصطفاف مع القرامطة .

وعندما سمع البهلول جمع أيضا أهله وعشيرته واستشارهم في الأمر، فقالوا له لا طاقة لنا بمقاتلة ابن أبي العريان فهو ذو سطوة وقوة وجنوده كثر، ولكن أشاروا عليه بقتله غيلة فينفض قومه من بعده، واحكموا خطة فاغتالوه وهو يسبح في عين ماء لهم .

وكان الوزير بن سنبر وابن أبي العريان قد حاكوا خطة للتخلص من أبي البهلول، وهي أن الوزير يأتي بجنوده عن طريق البحر إلى الجزيرة، والآخر يخرج بجنوده من الداخل ويقضون

على أبي البهلول ومن معه، ويستلم ابن أبي العريان إمارة الجزيرة نائبا للقرامطة، ولكن الله خيب سعيهم، وشتت جمعهم.

وفعلا تحرك بن سنبر عن طريق البحر باتجاه الجزيرة وما علم أن ابن أبي العريان قد قُتل، وكان معه كثير من السفن محملة بالرجال والخيل، وكان معه بعض أبناء القبائل العربية أخذهم قهرا إلى الحرب، فوقعت الحرب في البحر مع البهلول، فانهزم جيش بن سنبر وفر هو إلى الساحل، وغنم البهلول كل السفن وما عليها من الخيل والسلاح، وأسر العرب الذين معه، فحلفوا له أن بن سنبر جاء بهم قهرا ولم يكونوا لهم نية لقتالهم فاستأمنهم، وظفر بأربعين رجلا من القرامطة فقتلهم صبرا، وعاد وقد برئت ذمَّتُه، وقوي أمرُه، وانتظم حالُه، واستوزر أخاه أبا الوليد، وكتب إلى بغداد بالفتح[٣٤]، فكانت هذه ضربة كبيرة قصمت ظهر القرامطة بخروج معقل من أهم معاقلهم من بين أيديهم وانتهاء دعوتهم فيه، وبقيت دعوتهم محصورة في مدينة "هجر" الأحساء في السعودية .

انهيار دولة القرامطة على يد الأمير أرتق بك في مدينة "هجر" سنة ٤٧٠ هجرية .

مدينة هجر أو محافظة الأحساء اليوم في السعودية كانت آخر معاقل دولة القرامطة عليهم لعائن الله تترا، وفيها أنتهت دعوتهم بهذا الاسم وهذه الدعوة حتى خرجوا على الأمة في وجوه أخرى فلم تنقطع فتنهم إلى يومنا هذا .

سار الأمير أرتق بك قاصدا مدينة الأحساء معقلهم الاخير حتى وصلها سنة ٤٦٩ هجرية، ووجد فيها قلعة يتمركز فيها القرامطة، فكاتبوه وراسلوه أن يبذلوا له عشرة الأف دينار وتكون الخطبة في مدينتهم للخليفة العباسي القائم بأمر الله، والسلطان السلجوقي ملك شاه بن السلطان ألب أرسلان، وأرادوا أن يخدعوه ويكسبوا وقتا لاعادة ترتيب صفوفهم وعسكرهم،

[٣٤] مراة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي. ١٩ \ ص١٨٨.

فوافق الأمير على طلبهم، وطلبوا منه أن يبتعد عن مدينتهم قليلا حتى يستطيعوا أن يجمعوا المال من الأهالي، وأعطَوه رهائن، فرحل عنهم، فخرجوا إلى آبار غامضة في بساتينهم مملوءة بالطعام، فنقلوها إلى البلد، وعلم الأمير أرتق بك أنهم خدعوه، فعاد إليهم، وقتل بعض الرهائن الذين كانوا عنده، وابقى منهم من له رأى ومنفعة، وأخرب السَّواد، ونُهبت القرى، وامتلأت أيدي مَنْ معه من النهب، وبقي محاصرا للمدينة حتى مكنه الله منهم في سنة ٤٧٠ هجرية، وأرسل الأمير أرتق بك إلى الخليفة من الأحساء باستظهاره على القرامطة وأخْذِ بلادهم وغنيمتِهم، ثم حضر الأمير أرتق بك في الديوان وقرأه، وخرج توقيع الخليفة يشكره، وأعطي الفرس بمركب ذهب والمنجوق وثيابًا ، وبعد هذه الأحداث في الأحساء انتهت دعوتهم، وانهارت دولتهم في هذه البلدان، ولكن لم تنتهي فتنتهم إلى الأبد، فعادوا بعد فترة وخرجوا في خراسان وأصفهان وعرفوا باسم الباطنية، وقد تصدى لهم السلاطين السلاجقة بكل قوة وحزم .

كانت فترة فتنتهم منذ بداية ظهورهم في ٢٧٨ هجرية حتى سقوط دولتهم على يد السلاجقة سنة ٤٧٠ هجرية بلغت مئة وأثنين وتسعين سنة، تسلطوا فيها على رقاب الناس، وعاثوا في الأرض الفساد، عظمت فتنتهم، وكبر شرهم، وزاد فسادهم في الأرض، فلم يسلم من شرهم بشر، ولا شجر، ولا حجر، حتى أذن الله بزوال ملكهم، وقتلهم شر قتلة جزاءا وفاقا، على ما اقترفوه بحق الأمة.

وكان من أبرز قياداتهم الذين لعبوا دورا مهما في ترسيخ قواعد دولتهم، حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، و زكرويه بن مهرويه، وأولاده، يحيى بن زكرويه، والثاني الحسين بن زكرويه الملقب بصاحب الشامة، وأبو سعيد الجنابي، وأولاده أبو طاهر سليمان، ثم اخوته الثلاثة من بعده؛ وهم أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف، كلهم أبناء لأبي سعيد الجنابي، وكذلك أبو الهيجاء القرمطي وغيرهم كثير.

